

الأدب والحريّة مترادفان . .

بقلم عز الدين المدني

عالم اليوم :

ومنتى لم يدرك بعض الكتاب في العالم العربي اليوم انه مسن الواجب القيام بثورة هائلة داخل اللغة العربية بوضفها الاداة الكبرى لا يصلح الادب المكتوب والمنطوق والمرئي فان الادب العربي اليوم لسن يكون له المد المنتظر منه سواء كيمالج اهم القضايا التي يتخبط فيها الانسان العربي في حياته اليومية والمصيرية أيضا ، او ليخرج فنن البلاد العربية فسي انجاه اقطار العالم لمقاومة الامبريالية والاستعمار الجديد .

لا بد للكاتب ان يكتب بكل حرية اعني بلا تقليد الماضي، ولا « تفريد » المواضع الغربية،لانه يواجه قضايا من نوع جديد لا عهد للمجتمعات العربية بها من قبل ، وعليه ان يخلها او على الاقل ان يشرها بأداة جديدة يقتبسها من واقعه هو ، لا من واقع ماضيه ، ولا من واقع الدول الغربية .

فاذا تم تحوير وجهة الادب العربي اليوم ، فان كثيرا من الكتاب سيمسكون حتما عن الترامي على اعتاب جائزة نوبل للحصول عليها ، ليؤسسوا جائزة كبرى تضاهيها قيمة ومبلفا ، وليعملوا على ترجمة احسن مآلديهم من الانتاج شعرا كان أو قصة أو مسرحية اى اللغات الغربية الكبرى ، ولينشؤوا دورا للنشر في اوربا ذاتها ، او ليروجوا بضاعتهم الفكرية عن طريق دور النشر الكبرى في باريس ولندن ونيويورك وفرانكفورت ورومة .

كما يستوجب هذا التحوير في اتجاه الادب العربي الحرة المطلقة في التعبير شكلا ومضمونا - وهنا ألج على المضمون وأؤكد عليه - بكامل الشجاعة والجرأة ومهما كان الثمن . لان دور الكاتب في العالم العربي اليوم هو دور قيادي ومشاركة في الحكم احب ذلك الساسة ام لم يحبوا او رموا المثقفين في السجون او احولهم على العاش قبل الاوان ، او تملقوهم ومنحوهم المناصب العليا في الدولة .

وهذا الدور يتسم دائما بالصيغة النقدية اكثر من صفة المدح ، والاطراء ودق الطبول ، لانه دور حر ، لا يعمل من اجل مصلحة شخصية او في سبيل تحقيق منفعة خاصة . لان الادب الناقد هو ادب نابع من الواقع بل من وعي الواقع وعيا تاريخيا قويا .

ولان الادب الناقد هو في خدمة الشعب الذي يطمح الى بناء الحضارة الجديدة بكل قواه لا في خدمة بعض الاشخاص الذين اثروا على حساب استقلالات بعض البلاد العربية ، فهادنوا القوى الرجعية ، وتملقوا الاستعمار الجديد ، وانهزموا امام غزو الامبريالية. اذا كانت للكاتب رسالة ، واذا كان للكاتب دور،فما عليه الا ان يوطد اركان الحرية ويعززها في بلاده ، وان يلتن الشعب معناها العميق ، حتى يكون لهذا الشعب غد افضل حقا ، لا غد مزعوم فضفاض مليء بخيبة الامال ، ومرارة الاوهام ، وبشاعة الاحلام .

عز الدين المدني

تونس

العالم العربي اليوم محكوم عليه بأن يخترع أدبه، وحريته، وحضارته لأنه يفيش أزمات تاريخية حادة ويشهد تقلبات اجتماعية ضارية، ويحيا في هذا النصف الثاني من القرن العشرين الذي لم يجد فيه حظسه كسائر شعوب العالم الثالث وبلدانه .

نعم ! ينبغي أن يخترع العالم العربي أدبه ، لان الادب الذي عاش عليه منذ عهد النهضة الى اليوم هو في خطوطه العريضة اجمالا امسا سلبيا يدعو الى الرجوع الى الماضي بأية صفة من الصفات بواسطة الدين ، او عن طريق الاصاله ، او بقداسة العربية الفصحى ، بينما الماضي القرض،وفات، ولن يعود ، واما مرفقا ، ملفقا، مدروشا ، يتتبع من كتب خطى أوروبا الغربية بالخصوص .فمأراجت موضة الا وتبناها لكن بعد سنوات .، كموضة « القبت » التي روجها بعض التجارظنوا الفسهم من المثقفين العرب انواعين ، ثم تفلية «الالتزام والابراج العادبة»، ثم « اللامنتمي » وغيرها من الشئاع الفكرية المهضمة !

فالانجاه الاول سلبى أي في اعتقادي انهزامي في هواقفه مسن القضايا العربية ، فمن جرانه وفعت حروب طاحنة على رؤوس العرب أشهر من ان تعرف في هذه الكتابة . بالاضافة الى انه انجاه كسول لأنه يعتمد على الماضي ، ومتواكل ، لانه ملتفت الى الماضي متوكىء عليه ، عاجز لانه فارغ الدماغ من أية ايدولوجية فيها أمسل نحو المستقبل ، اذا استثنينا امله الذي كان يريد الرجوع بنا الى القرون الوسطى !.

وهذا الاتجاه يتضمن مفارقة ، بعدا بين الادب السلبى والشعب وقضاياه لا اليومية فقط بل المصيرية أيضا . اذ هو يعالج تلك القضايا الجديدة بادوات خماء ، قديمة ، عتيقة ، . . واذا الشعب يبقى بحكم ذلك الاعوجاج بعيدا عن ادراك الحقائق الاجتماعية .

اما الاتجاه الثاني فهو لا يقل خطورة عن الاول . لان الكاتب الذي يتتبع الاتجاهات الادبية والفنية والفكرية وينقلها بعد سنوات ويقدمها الى القارئ العربي بدعوى التفتح وغيرها من الكلمات الزيفة لا يدرك الكاتب العربي الا نادرا ان هاتيك الاتجاهات الاوروبية الغربية - ولو كانت تقدمية الايدولوجية - انما هي اعلاق الاخطبوط الاستعماري الجديد .

وهذا الاتجاه يتضمن مفارقة ايضا ، بعدا بين الكاتب المفسق المرفق المرتق والشعب وقضاياه . اذ هذا الكاتب يخاطب النخبة كالسلبى بالضبط ، لا الشعب وازاء هذين الاتجاهين الذين تتحكم فيهما المفارقة لا يسعنا الا ان ندعو الى مراجعة الماضي مع الفاء القداسة التي تحيط به ، بما في ذلك اللغة العربية التي هي في حاجة ماسة الى التفكير ثم الى اعادة التركيب مع مزجها باللهاجات العربية وادخال العرب والدخيل عليها ، وتيسيرها حتى يستسيفها الاجنبي وتفره ، وحتى تتمكن هي بالتالي ان تجد حظها الى جانب اللغات الكبرى في